



مقدمة

لقد سعدت جدا بفضل الهيئة العامة للعلماء المسلمين في سوريا بقراءة بحثي "البشرة الندية للثورة السورية" وسعدت أكثر بملحوظاتهم والتي كان منها :

كنا نتمنى عليك أخانا الكريم لو أنك جئت ببعض أحاديث آخر الزمان التي يفهم ظاهرها على أن الإسلام في معركة خاسرة وأنه إلى انحسار ثم تزيل اللبس عن مفهومها لأنها سببت كثيراً من التشاؤم لدى من لم يفهمها من المسلمين وظنوا أنها تبشر بمستقبل حالي الظلم وأهله فلو عرضت لها واستطردت لكان أكمل وأولى من الاستطراد في معان لغوية قد يغنى بالاختصار فيها ومن هذه الأحاديث (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) وحديث (لا يأتيكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) ..

ولقد سعدت جدا بهذه الملاحظة .. فجزاهم الله خيرا على كل ما يقدمونه، وعلى كل حرف يكتبوه، وكل كلمة يسطرونه وكل جملة يحتونها في سبيل الله وفي سبيل هذه الثورة المباركة ..

إن الإسلام دين القوة والبناء وعمارة الأرض ، دين الجهاد والأمل والسلام ، سلام النفس والمجتمع والعالم ، فهو دين لكل البشرية ، فمن خصائصه أنه ملائم لكافة الأزمنة والأمكنة .

هذه حقيقة لا يمكن لأي إنسان مسلم سواء كان أمياً أو متعلماً أو عالماً أن يناقش أو يجادل فيها.

وما دام الإسلام موجود فالخير موجود ، وأوامر الله سبحانه وتعالى بعمارة الأرض وبنائها مستمرة إلى قيام الساعة ، ومجاهدة الباطل الذي يقف في طريق الحق أمر لا جدال فيه إلى قيام الساعة.

ودين الإسلام دين العدل والحرية والكرامة ، وهذه ليست شعارات بل حقائق وأخلاق وصفات من شخصية الإنسان المسلم، فالإسلام لا يقبل من أتباعه الذل والظلم والخنوع وعبادة الأنظمة الحاكمة وعبادة المال.

هذا هو الإسلام، صفحاته بيضاء ، لا يقبل الظلم ولا الذل ولا الإهانة ولا الكفر ..

هذا هو الإسلام يدعو إلى تغيير الواقع السيئ وليس إلى ترسيخ الواقع السيئ .

هذا هو الإسلام يستشرف المستقبل، فيبني ولا يهدم، ويتفاعل ولا يتشاءم ، وينهض ولا يختلف ، وأصحابه أهل خير، فالخيرية ففهم إلى قيام الساعة .

ولكن هناك أناس يلبسون الإسلام ثيابا غير ثيابه ، فيؤمنون بجزء منه ويكررون بجزء آخر ، ويتجاهلون أجزاء أخرى .. فقد قامت الثورة السورية مطالبة بالحرية والكرامة والعدالة وهي حقوق مشروعة ولكن النظام الوحشي قابل هذه المطالب بالتدمير والقتل وسفك الدماء واغتصاب الحرائر واعتقال الناس وتشريد الآمنين ، وترويع الأطفال وذبحهم بالسكاكين ..

فقام أناس يقولون مالنا وللثورة كنا آمنين، أكلين شاربين؟

مالنا وللثورة فهي مخطط غربي لتقسيم سوريا؟

مالنا وللثورة وقد حصل ما حصل فماذا استفدنا غير حرق البلاد؟

ويبررون تشاوئهم هذا بالدليل ، ففي اعتقادهم أن الزمان لا يأتي إلا بالأسوأ ، وأن الواقع كلما زاد الشر فيه لا أمل في الإصلاح ، فالخير الذي كان موجودا لن يعود ولن يرجع مرة أخرى ، وسوف يترحم الناس على الأيام التي كانوا يعيشونها في أيام سابقة .

وهذا ما سوف أناقشه في هذا البحث المتواضع فساد الزمان ومستقبل الثورة السورية .. حرسها الله بعينه .

أبو طلحة الحولي

غرة محرم 1434

وقفات مع حديث " لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه"

إن شبهة هؤلاء هدانا الله وإياهم ناتجة عن فهم مغلظ بعض الأحاديث النبوية، مما هذه الأحاديث؟

1-Hadith: "لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه" ، فعن الزبير بن عدي قال: "أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقي من الحاج فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم "

2- Hadith " خير الناس قرنى " عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام : تسقى شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته "

إن هذه الأحاديث صحيحة، ولكن لا تفهم الأحاديث جزافا وإنما هناك قواعد وضوابط لفهمها، فالرسول الكريم لا ينطق عن الهوى، وأحاديثه ليس فيها تناقض، والمنهج الصحيح في فهم هذه النصوص هو جمع هذه النصوص بلا إهمال لأي رواية، كما في القاعدة الأصولية " إعمال النص الصحيح خير من إهماله " ، ورحم الله الداعية محمد الغزالى إذ قال " والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما، جمعوا كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة، وحاكموا المظنون إلى المقطوع ، وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة ، أما اختلاف الحكم من حديث عابر والإعراض عما ورد في الموضوع من آثار أخرى فليس عمل العلماء "

وإذا كان القرآن الكريم يفسر بعضه ببعض ، ويحمل بعضه على بعض حتى يصح إدراك معانيه ، ويحسن فهم مراميه ، فذلك الحديث النبوى ، بل الأمر فيه أولى وأكدر ، لكثرة طرقه ، واختلاف روایاته.

وهذا المعنى هو الذي عبر عنه الإمام أحمد بقوله: " الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه ، والحديث يفسر بعضه ببعض " .

فرب لفظة مشكلة في حديث ترد مفسرة في حديث آخر، ورب اسم مبهم في حديث يرد مصريا به في حديث آخر، وقد يكون اللفظ عاما في حديث، وله مخصوص في حديث آخر، أو مطلقا وله مقيد.. أو ما إلى ذلك .

وهذا الفقه لا ينافي إلا بجمع روایات الحديث الواحد وإعمال النظر فيها. ولهذا الاعتبار منع بعض أهل العلم من المتأخرین الرجل يكون عنده الصحيحان أو أحدهما أو كتاب من كتب السنة فيفتقى بما يقف عليه من الحديث ، لأنه قد يكون منسوباً أوله معارض ، أو يفهم من دلالته خلاف ما يدل عليه، أو يكون أمر ندب فيفهم منه الإيجاب ، أو يكون عاماً له مخصوص ، أو مطلقاً له مقيد.. وجوزت ذلك طائفة...، وتوسط ابن القيم في ذلك فقال: (والصواب في هذه المسألة التفصيل ، فإن كانت دلالة الحديث ظاهرة بينة لكل من سمعه ، لا يحتمل غير المراد ، فله أن يعمل به ويفتي به.. وإن كانت دلالته خفية لا يتبيّن المراد منها لم يجز أن يعمل ولا يفتى بما يتوهمه مراداً حتى يسأل ويطلب بيان الحديث ووجهه .

إن عرض هذه الأحاديث التي يستدل بها المتشائمون ، والمثبطون ، والمرجفون على الأحاديث الأخرى التي تحدد مفهومها ، نجدها في سياق طبيعي لها ، تبشر الأمة والعالم كله ، بل كل من على الأرض ومن في السماء بالخير ، واستمرارية الخير .. ولزيادة الإيضاح أتوقف قليلاً مع حديث " لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه " لنفهمه في سياقه الطبيعي في ضوء طبيعة منهج الله في الأرض ، ووضوح دينه سبحانه وتعالى الشمولي والتكمالي والإيجابي ، وفي ضوء مقومات التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة .

أولاً : فهم نص الحديث بدون تجزئة أو قراءته بعيداً عن النصوص التي تكمله:

كما ذكرنا سابقاً إن المنهج الصحيح في فهم هذه النصوص هو جمع هذه النصوص بلا إهمال لأي روایة ، ولذا يجب فهم هذا الحديث الشريف في ضوء بقية الأحاديث النبوية المتحدة عن الفتن والزمان وأحوال الأمة ، وعلامات قيام الساعة .

1- حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : كان الناسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكَنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقَلَّتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَا كُنَا فِي جَاهْلِيَّةٍ وَشَرِّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : (نَعَمْ) . قَلَّتْ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : (نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخْنٌ) . قَلَّتْ : وَمَا دَخْنُهُ ؟ قَالَ : (قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدِيَّيِّ ، تَعْرِفُهُمْ وَتُنْكِرُهُمْ) . قَلَّتْ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : (نَعَمْ ، دُعَاءً عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَّفُوهُ فِيهَا) . قَلَّتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَفِّهُمْ لَنَا ، قَالَ : (هُمْ مِنْ جِلْدِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَسْنَنِنَا) . قَلَّتْ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أُدْرِكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : (تَلَزُّمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ) . قَلَّتْ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ قَالَ : (فَاعْتَرِلْ تَلِكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ .

والمتأمل في هذا الحديث يجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر أن بعد زمن الشر يأتي زمن الخير ، فليس الشر إذن في عملية مستمرة .. وهذا يدل على أن الخير موجود ، ولن يتناقص ..

2- حديث أنس رضي الله عنه:

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثل أمتی مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره " قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما قوله " أمتی كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره " - مع أن فيه ليناً - فمعناه : في المتأخرین من يشبه المتقدمين ويقاربهم حتى يبقى لقوة المشابهة والمقارنة لا يدرى الذي ينظر إليه أهذا خير أم هذا ، وإن كان أحدهما في نفس الأمر خيراً .

فهذا فيه بشري للمتأخرین بأن فيهم من يقارب السابقين كما جاء في الحديث الآخر " خير أمتی أولها وآخرها وبين ذلك ثبع أو عوج ، وددت أنني رأيت إخوانی ، قالوا : أَوْ لَسْنَا إِخْوَانَكَ ؟ قَالَ : أَنْتُمْ أَصْحَابِي " : هو تفضيل للصحابة فإن لهم خصوصية الصحبة التي هي أكمل من مجرد الأخوة ."

3- حديث زيد بن أرقم :

عن أبي عبد الله الشامي، قال سمعت معاوية يخطب يقول: يا أهل الشام! حدثني الأنصاري - قال: قال شعبة: يعني زيد بن أرقم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق، ظاهرين، وإنّي لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام" وعن قرّة بن إياس المزني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا فسد أهل الشام؛ فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرّهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة")
إن وجود هذه الطائفة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم يبشر بالخير ، ويفتح أبواب الأمل ، إلى يوم القيمة ، لا يضرّهم خلاف المخالف، ولا خذلان الخايل..

فهذه الطائفة كما أخبر الصادق المصدوق موجودة في كل زمان ومكان ، تحمي الإسلام بعون الله ، وتدافع عنه ، ملتزمة به منهاجاً وشريعة وطريقاً في الحياة ، ثابتة على دين الله .. يعز الله بهم دينه .

وهذه الطائفة " لا تزال " أي مستمرة غير منقطعة " حتى تقوم الساعة " مهما تعرضت الأمة للكيد والعدوان ، وللهجمات الحربية والفكرية ..

وهذه الطائفة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى - منصورة بإذن الله ، وقد جاء بيان هذا النصر بالفاظ متقاربة في عدة روايات : "فاحبرين لعدوهم" ، "ظاهرين على من ناؤهم" ، "منصورين" ، "لعدوهم قاهرين".

4- حديث أبي هريرة رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ".

إن هذا التجديد بشارة من الرسول لهذه الأمة بالاستمرارية وإن أصابها شر أو ضعف ، ولقد جعل الإمام أبو داود هذا الحديث في أول باب من كتاب الملاحم .. باب : ما يذكر في قرن المائة . حدثنا سليمان بن داود المهرى....." ذكر الحديث . ومن المعروف أن الملاحم جمع ملحمة وهي الأحداث والمعارك التي تقع بين المسلمين وأعدائهم ، وهذه الملاحم والأحداث العظيمة لا تحدث إلا للقضاء على هذا الإسلام حرباً وتشويهاً ، وهنا يأتي دور المجددين للدفاع عن الإسلام ، وإحياء ما اندرس منه ، وكأن المحدث الفقيه أبو داود - راوي الحديث - بكتابته لهذا الحديث في أول كتاب الملاحم يبشر هذه الأمة بالنصر والتمكين ، وأن الله يرسل لهذه الأمة من ينفض غبار الذل عنها ، ويوقفها من سباتها ، ويحررها من كل طاغوت ، وأن الحروب والأحداث التي تشن ضد المسلمين مصيرها إلى هزيمة وانتكاسة .

قال د. محمود الطحان موضحاً المراد بالتجدد : "بيان ما اندرس من معالم السنن ونشرها ، وحمل الناس على العمل بها ، وقمع البدعة وأهلها، والعودة بال المسلمين إلى ما كان عليه الرعيل الأول من المسلمين؛ على يد خليفة من الخلفاء الراشدين، أو على يد عدد من المصلحين، كل واحد منهم في ناحيته، أو على يد جماعة مصلحة تقوم الأعوجاج الذي حصل، وتنقض الغبار الذي ألمَ بواقع المسلمين، من انحراف عن منهج الله القويم، ويكون ذلك كل مائة سنة من الزمان، لأنها مدة طويلة يعود الناس فيها إلى الأعوجاج، وتظهر في تلك المدة الانحرافات عن دين الله سبحانه"

فهذا الأحاديث وغيرها تحمل في طياتها الخيرية لهذه الأمة ، إلى قيام الساعة ..
ثم إن الإسلام دين العمل والبناء حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"

ولا يسأل نفسه: كيف تنمو وحولها الرياح والأعاصير والشر من كل جانب؟

ويدع أمرها لله سبحانه .. فلا يأس مع الحياة !

فالحديث لا يستدل به على أهمية إعمار الأرض وبناء الحضارة فقط ، بل أبعاد الحديث أكبر من ذلك فإعمار الأرض وبناء

الحضارة والسير في الحياة ، والتناغم مع حركة الكون ما بين تنفس الصباح وعسعة الليل تحتاج إلى حركة دائمة ونشاط وهمة وأمل في الوصول في الهدف المنشود ، فحتى لا يقع الإنسان في فتور الهمة ، وسلبية اليأس وجحيم الكآبة يحثنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم على العمل وعدم اليأس من النتيجة ، حتى وإن كانت بعيدة المنال ، فإن لم نحصل عليها نحن حصل عليها من جاء بعدها .. فالحياة تسير لا تتوقف .. ويشرح المناوي دلالة الحديث فيقول : "الحاصل أنه مبالغة في الحديث على غرس الأشجار وحفر الأنهر لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدتها المحدود المعلوم عند حالها ، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به ، فاغرس لمن يجيء بعده لينتفع ، وإن لم يبق من الدنيا إلا صيابة ، وذلك بهذا القصد لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا"

يقول الداعية المربى الكبير محمد قطب : "والعمل في الأرض لا ينبغي أن ينقطع لحظة بسبب اليأس من النتيجة فحتى حين تكون القيامة بعد لحظة ، حين تنقطع الحياة الدنيا كلها . حتى عندئذ لا يكتف الناس عن العمل ، وعن التطلع إلى المستقبل ، ومن كان في يده فسيلة فليغيرها .

ثانياً : معنى حديث " لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه " :

ترجم الإمام ابن حبان رحمه الله لحديث أنس رضي الله عنه " وذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة الحديث أن أخر الزمان على العموم يكون شرا من أوله " ثم أتبعه بترجمة تدفع هذا الإيهام فقال " ذكر الخبر المتصريح بأن خبر أنس بن مالك لم يرد بهوم خطابه على الأحوال كلها "

ثم أسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة ، لملك فيها رجل من أهل بيته صلى الله عليه وسلم "

إذن حديث أنس رضي الله عنه ليس على عمومه أو إطلاقه ، لثبتت أدلة تخصص عمومه ، وتقيد مطلقه ، ولذلك ينبغي حمله على الأغلب من الزمان ، أو يحمل معناه على أن كل زمان بجملة ما فيه من خير لأفضل من الزمان الذي يليه ، وهذا لا ينفي أن يكون في كل زمان خير .

وقال ابن حجر رحمه الله:

وقد استشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز وهو بعد زمن الحجاج ييسير، وقد اشتهر الخبر الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز، بل لو قيل أن الشر اضمحل في زمانه لما كان بعيدا فضلا عن أن يكون شرا من الزمن الذي قبله وقد حمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال: لا بد للناس من تنفيذه.

وأجاب بعضهم أن المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده لقوله صلى الله عليه وسلم "خير القرون قرني" وهو في الصحيحين، وقوله " أصحابي أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابي أتى أمتى ما يوعدون" أخرجه مسلم.

ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالإتباع ، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال " سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه ولا مالا يفيده ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علمًا من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون " .

ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة بناء على أنهم هم المخاطبون بذلك فيختص بهم، فأماما من بعدهم

فلم يقصد في الخبر المذكور، لكن الصحابي فهم التعميم فلذلك أجاب من شكا إليه الحاج بذلك وأمرهم بالصبر، وهم أو جلهم من التابعين.

واستدل ابن حبان في صحيحه بأن حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدى وأنه يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، ثم وجدت عن ابن مسعود ما يصلح أن يفسر به الحديث وهو ما أخرجه الدارمي بسند حسن عن عبد الله قال "لا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الذي قبله، أما إني لست أعني عاماً".

وقال الألباني رحمة الله تعالى:

"هذا وما يجب أن يعلم بهذه المناسبة أن قوله - صلى الله عليه وسلم - (لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) رواه البخاري في الفتن من حديث أنس - رضي الله عنه - مرفوعاً. فهذا الحديث ينبغي أن يفهم على ضوء الأحاديث المقدمة وغيرها، مثل أحاديث المهدى ونزول عيسى - عليه السلام - فإنها تدل على أن هذا الحديث ليس على عموم بل هو من العام المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس إنه على عمومه فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمنن ﴿إِنَّهُ لَا يَيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف:87)

هكذا نفهم هذا الحديث كما فهمه العلماء ، دافعا للعمل والبناء وليس التشاؤم والتقاус عن عمارة الأرض .. إن مستقبل الإسلام ليس أسودا ، ومستقبل سوريا ليس مأساويا بل تفاؤليا ، وربما يتساءل البعض أين التفاؤل في هذه الدماء المسفوكة والبيوت المقصوفة بالطيران والأحياء السكنية المدمرة؟

أين التفاؤل وكل يوم مئات الشهداء والجرحى والمفقودين والمعتقلين واللاجئين والمشددين؟
وهذه أسئلة لا يطرحها إلا إنسان قصير النظر ، لا يفقه فقه الواقع ، ولا فقه الحياة ، ولا فقه الإنسانية .. وأنتساع:

هل توقفت الثورة كلما صعدت روح شهيد ، ونُزف جريح أم ازدادت الثورة ؟

هل توقفت الثورة كلما دمرت بيوت وأحياء وشوارع وممتلكات أم ازدادت الثورة ؟

هل توقفت الثورة كلما ازداد العداء والدعم من المجتمع الدولي للوحش أم ازدادت الثورة ؟

هل توقفت الثورة وقد وقف العالم الغربي والعربي والشرقي ضدها أم ازدادت الثورة ؟

هل توقفت الثورة بعد أن مضى عليها ما مضى من البلاء والمصائب أم ازدادت الثورة ؟

لم تتوقف ولذا كان السؤال سؤالاً خطأ ..

وكما يقول المربى الكبير محمد قطب: " فلا يأس مع الحياة !

والعمل في الأرض لا ينبغي أن ينقطع لحظة واحدة بسبب اليأس من النتيجة!

فحتى حين تكون القيامة بعد لحظة ، حين تنتهي الحياة الدنيا كلها، حين لا تكون هناك ثمرة من العمل.. حتى عندئذ لا يكفي الناس عن العمل وعن التطلع للمستقبل، ومن كان في يده فسيلة فليغيرها!

إنها دفعة عجيبة للعمل والاستمرار فيه والإصرار عليه!

لا شيء على الإطلاق يمكن أن يمنع من العمل!

كل المعوقات.. كل الميئسات.. كل "المستحيلات" .. كلها لا وزن لها ولا حساب.. ولا تمنع عن العمل.

وبمثيل هذه الروح الجبارية تعمر الأرض حقاً وتشيد فيها المدنيات والحضارات.

وكان البناء الذي بناه الإسلام فريداً بالرغم مما أصابه من ضربات من الداخل ومن الخارج على السواء.

لقد كان المسلمون يقتدون برسولهم وهو يحثهم على العمل لتعمير الأرض، وغرس ما في أيديهم من فسائل تثمر حين يشاء لها الله، وإنما عليهم فقط أن يغرسوها، ويمضوا إلى غيرها يغرسون في مكان جديد! ويقتدون به فيغرسون به ما يغرسون من

نباتات الخير في كل مكان، وهم يتوجهون إلى الله وحده وإلى الآخرة. لا تدفعهم مطامع الأرض المنبطة عن طريق الله، ولا شهوات النفس المنبطة عن تقوى الله.

وبذلك تميزوا وسادوا، وكانوا النور المشرق في ظلمات الأرض، والقدوة في كل سلوك وكل عمل وكل نظام. وأوربا في ظلمة الجاهلية تأكلها الفرقـة والحروب والتـأخـر والانـحطـاطـ. حتى قبـست قـبـسـات من إسلام في الحروب الصـالـيبـيـةـ، فأفـاقـتـ منـ غـفـوـتهاـ وـبـدـائـتـ "ـتـهـضـ"ـ .. ولـكـنـ عـلـىـ غـيـرـ طـرـيقـ اللهـ وـطـرـيقـ الـآخـرـ.. وـمـنـ ثـمـ لـاـ تـقـومـ إـلـاـ كـمـنـ يـتـخـبـطـ الشـيـطـانـ مـنـ الـمـسـ.. تـنـطـلـقـ كـالـمـجـنـونـ وـالـهـوـةـ فـيـ آخـرـ الطـرـيقـ.

ليـسـ إـذـ دـعـوـةـ فـيـ الـخـيـالـ حـيـنـ يـقـولـ الرـسـوـلـ -ـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- لـلـنـاسـ: إـنـ كـانـ فـيـ يـدـ أـحـدـكـمـ فـسـيـلـةـ فـلـيـغـرـسـهـ.

وـإـنـماـ هيـ صـمـيمـ دـعـوـةـ الـحـقـ. الـحـقـ الـوـاقـعـ فـيـ الـأـرـضـ، الـمـشـهـودـ عـلـىـ مـدارـ التـارـيـخـ.

وـالـدـعـاـةـ فـيـ كـلـ الـأـرـضـ أـحـوـجـ الـنـاسـ إـلـيـهـ حـيـنـ تـضـيـقـ بـهـمـ السـبـلـ وـيـصـلـ إـلـىـ قـلـوبـهـمـ سـمـ الـيـأسـ الـقـتـالـ.

وـهـمـ أـوـلـىـ النـاسـ أـنـ يـتـدـبـرـوـاـ سـيـرـةـ الرـسـوـلـ نـفـسـهـ.

لـقـدـ كـانـ يـغـرـسـ الـفـسـيـلـةـ وـهـوـ مـاـ يـدـرـيـ مـاـ يـكـونـ بـعـدـ لـحـظـاتـ!

قـدـ تـأـمـرـ بـهـ قـرـيـشـ فـتـقـتـلـهـ.

قـدـ يـهـلـكـ جـوـعـاـ فـيـ الـشـعـبـ هـوـ وـمـنـ مـعـهـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ.

قـدـ يـلـحـقـ بـهـ الـكـفـارـ وـهـوـ فـيـ طـرـيقـ إـلـىـ الـغـارـ فـلـاـ يـكـونـ ثـمـةـ غـدـ.. أـوـ تـكـونـ الـقـيـامـةـ بـعـدـ لـحـظـةـ.. وـمـعـ ذـلـكـ يـغـرـسـ الـفـسـيـلـةـ،

وـيـتـعـهـدـهـاـ بـالـرـاعـيـةـ حـتـىـ يـؤـذـنـ اللـهـ بـالـثـمـارـ، وـهـوـ مـطـمـئـنـ دـائـمـاـ إـلـىـ اللـهـ مـاـ دـامـ يـؤـديـ الـوـاجـبـ الـمـطـلـوبـ.

ذـلـكـ هـوـ الـمـلـلـ الـذـيـ يـحـتـاجـ الـدـعـاـةـ إـلـىـ أـنـ يـقـتـدـوـ بـهـ حـيـنـ يـدـعـوـنـ إـلـىـ الـإـصـلـاحـ.

مـنـ كـانـ فـيـ يـدـهـ فـسـيـلـةـ فـلـيـغـرـسـهـ!

وـلـاـ يـسـأـلـ نـفـسـهـ: كـيـفـ تـنـمـوـ وـحـولـهـ الـرـياـحـ وـالـأـعـاصـيرـ وـالـشـرـ مـنـ كـلـ جـانـبـ؟

لـاـ يـسـأـلـ نـفـسـهـ، فـلـيـسـ ذـلـكـ شـأـنـهـ..

فـلـيـدـعـ ذـلـكـ لـهـ

وـلـتـطـلـبـ نـفـسـهـ أـنـ أـوـدـعـهـ مـكـانـهـ الـحـقـ، وـعـهـدـ بـهـ إـلـىـ الـحـقـ الـذـيـ يـرـعـاهـاـ وـيـرـعـاهـ.

مستقبل الثورة السورية:

إن مستقبل الثورة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع المعاصر الذي نعيشـهـ، ومن فـقـهـ السـيـاسـةـ الـشـرـعـيـةـ، فـهـمـ الـوـاقـعـ وـالـتـعـرـفـ عـلـيـهـ،

ولـذـاـ لـنـ اـكـتـبـ تـارـيـخـاـ عـنـ وـاقـعـنـاـ الـمـعـاـصـرـ، وـلـنـ أـسـرـدـ أـحـدـاـثـ تـارـيـخـيـةـ وـصـرـاعـاتـ عـالـمـيـةـ وـإـقـلـيمـيـةـ. الـعـسـكـرـيـةـ مـنـهـاـ وـالـفـكـرـيـةـ

ـ، وـلـكـنـ الـمـتـأـمـلـ فـيـ الـزـمـانـ الـذـيـ نـعـيـشـ يـجـدـ أـنـ هـنـاكـ صـرـاعـاـ بـيـنـ الـإـنـسـانـ وـنـفـسـهـ، وـبـيـنـ الـإـنـسـانـ وـالـإـنـسـانـ

ـ وـالـكـوـنـ، يـجـهـلـ نـفـسـهـ مـنـ هـوـ؟ وـالـىـ أـيـنـ يـسـيرـ؟ وـمـاـذاـ يـرـيدـ؟

وـهـذـاـ صـرـاعـ عـالـمـيـ حـيـثـمـاـ كـانـ الـإـنـسـانـ، وـهـوـ صـرـاعـ لـمـ يـجـلـبـ لـهـ الـأـمـنـ وـلـاـ الـرـخـاءـ وـلـاـ السـعـادـةـ وـإـنـمـاـ الشـقـاءـ وـالـضـنـكـ

ـ وـالـفـوـضـيـ ..

إن وـاقـعـنـاـ الـرـاهـنـ بـأـحـدـاـثـ الـسـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ وـالـاـقـتصـاديـةـ مـتـعـلـقـ بـالـإـنـسـانـ نـفـسـهـ، فـهـوـ الـكـائـنـ الـوـحـيدـ فـيـ هـذـاـ

ـ الـكـوـنـ .. الـذـيـ خـلـقـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ لـيـكـونـ مـسـتـخـلـفـاـ فـيـ الـأـرـضـ، وـلـذـاـ فـهـوـ فـيـ صـرـاعـ دـائـمـاـ دـامـ بـعـيـداـ عـنـ اللـهـ .. وـبـعـيـداـ

ـ عـنـ مـنـهـجـ اللـهـ الشـامـلـ الـمـتـوـازـنـ الـمـتـكـامـلـ الـفـطـرـيـ الـإـيجـابـيـ .. وـعـنـ دـيـنـ اللـهـ ﴿شـرـعـ لـكـمـ مـنـ الدـيـنـ مـاـ وـصـيـ بـهـ نـوـحـاـ وـالـذـيـ

ـ أـوـحـيـنـاـ إـلـيـكـ وـمـاـ وـصـيـنـاـ بـهـ إـبـرـاهـيـمـ وـمـوـسـىـ وـعـيـسـىـ﴾ أـنـ أـقـيمـوـاـ الدـيـنـ وـلـاـ تـنـتـرـقـوـاـ فـيـهـ﴾. (الـشـورـيـ: 13).

إن فـسـادـ زـمـانـنـاـ مـتـعـلـقـ بـالـإـنـسـانـ نـفـسـهـ، وـكـلـ إـنـسـانـ لـهـ عـقـيـدـةـ شـاءـ أـمـ أـبـيـ، وـإـمـاـ أـنـ تـكـونـ عـقـيـدـةـ صـحـيـحةـ أـوـ عـقـيـدـةـ خـاطـئـةـ، فـلـاـ

يخلو إنسان من عقيدة يؤمن بها حتى الملحد عقیدته عدم الإيمان بالله .. ولذا فالآحداث السياسية والاقتصادية أحاديث مرتبطة بالعقيدة التي تقف من خلفها ، فأمريكا لها عقیدتها ، وأوروبا لها عقیدتها ، وروسيا لها عقیدتها ، والصين لها عقیدتها ، والعالم الإسلامي له عقیدته..

إن عداء الغرب للإسلام ليس نتيجة الموقف الاستراتيجي للعالم الإسلامي بما يضم من ثروات وموارد بشرية وطبيعية - وإن كان هذا من الأسباب - وإنما في حقيقة الأمر لأن الإسلام دين عالمي ، ولذا يبذل الغرب كل طاقاته وكل إمكانياته للتصدي لهذا الدين بكلفة الوسائل: الغزو العسكري ، والغزو الفكري ، والغزو الإعلامي ، والغزو الأخلاقي..

فقضوا على الخلافة العثمانية، وقطعوا أوصال العالم الإسلامي، وزرعوا شوكة تخز العملاق كلما أراد أن ينهض كما جاء في تقرير لورد كامبل الشهير والذي جاء فيه " هناك شعب واحد متصل، يسكن من المحيط إلى الخليج، لغته واحدة، ودينه واحد، وأرضه متصلة، وماضيه مشترك، وأماله واحدة، وهو اليوم في قبضة أيدينا، ولكنه أخذ يتململ، فماذا يحدث لنا إذا استيقظ العملاق؟ "

يجب علينا أن نقطع اتصال هذا الشعب بإيجاد دولة دخيلة، تكون صديقة لنا، وعدوة لأهل المنطقة، وتكون بمثابة شوكة تخز العملاق كلما أراد أن ينهض "

كما زرعوا عملاء لهم في كل مكان لينوب عنهم في إبعاد الشعوب عن الإسلام، وما دخول جيش الاتحاد السوفيتي أفغانستان إلا للقضاء على الإسلام، وما حدث في البوسنة والهرسك من مذابح وإبادة، إلا نتيجة الحقد الصليبي على الإسلام، وما تدمير أفغانستان إلا للقضاء على الجهاد الأفغاني وروحه، وما احتلال العراق إلا رغبة في إذلال الآخرين واستعبادهم وكل ذلك والغرب بين فاعل للحدث وبين متفرج على الحدث ليتنهز فرصة الانقضاض على الفريسة ليستولي عليها..

" ولكن الصليبية الصهيونية - كما يقول المربي الكبير محمد قطب - لم تكتف بذلك بل عمدت إلى أمر لا يقل خطرا وهو تشتيت عقل الثورات والحركات التحررية، التي قامت كلها من منطلق إسلامي بإلباسها أثوابا من الغزو الفكري، ت詶ألفها، وتحد من أخطارها، فتحولت إلى حركات "وطنية" أو "قومية" أو في فترة من الوقت "اشتراكية" تتعايش كلها مع مصالح الصليبية والصهيونية وتبعد عنها خطر الإسلام!

ولكن المفاجأة الكبرى للصليبية الصهيونية، وللعالم أجمع، على الرغم من هذا الكيد كله، كانت هي "الصحوة الإسلامية" وتحركت أحقاد العدو الأبدى - اليهود والنصارى والمشككون والمنافقون وحاولوا بكل الوسائل المتاحة لهم أن يئدوا الوليد قبل أن يشب ، فإذا هو يستعصي على الوأد وإذا به يمتد في الأرض، وإذا شأنه وخطره يتضاعفان يوما بعد يوم.. فعندئذ فقد العدو عقله، وقد كذلك حياءه..

وأصبحت الحرب "على المكشوف" !

وما يحدث الآن في سوريا ليس حربا بين نظام نصيري بعثي وبين شعبه وإنما في حقيقة الأمر هي حرب بين الصليبية والصهيونية والنصرية يتولاها بالنيابة عنهم ابنهم البار النظام الوحشي وبين الشعب المسلم السنى السوري..

فهل هناك أسوء من هذا التخاذل ، قتل وتدمير وذبح ومجازر واغتصاب ثم لا يتحركون إلا لمنع تسليح الشعب ليدافع عن نفسه

وهل هناك أسوء من مقارنة الضحية بالجلاد ووضعهما في سياق واحد للخروج بحل سياسي " وكأنك يا دار ما دخلت شر" !! وهل هناك أسوء من الدعم المكشوف للنظام الوحشي بالسلاح والمهل والدفاع عن حقه في الوجود !!!

وهل هناك أسوء من إصدار الأحكام على المجاهدين بالإرهاب بينما النظام الوحشي ما زال بعيدا عن الإرهاب وهو الموغل في الدماء حتى الركب !!

إن هذا الواقع الحالك لا يدوم والمتأمل في الواقع السوري ما قبل الثورة وما بعدها يجد أن ايجابيات كبرى في هذه الثورة

المباركة التي كانت بقدر الله ، فلم تخرج من حزب أو جماعة أو دولة وإنما خرجت من رحم الشعب .. لتكون درسا للأمة العربية والإسلامية في قدرتها على نفض الغبار عنها لتستمل الريادة في العالم .

ومهما حاول الغرب والنظام الوحشي أن يقضي على الثورة المباركة فلن يستطيع ، فالفطرة انتفضت والإسلام قادم ، وعلى الغرب أن يعلم " أن الإسلام ليس عدوا للغرب ، وليس عدوا للبشرية بل انه في الحقيقة هو " المخلص " الذي جاء ليطهر البشرية من أدرانها ، ويرفعها إلى المكانة اللاائقه " بالإنسان " الذي كرمه خالقه وفضله على كثير من خلق :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
(الإسراء: 70)

وحين يعود الإسلام إلى التمكين اليوم أو غدا فلن يكون على حساب " المصالح المشروعة " لأحد من البشر الأسواء على وجه الأرض ، ولكنه دون شك لن يقبل الطغيان ، ولن يقبل - بصفة خاصة - وقوع العدوان على المسلمين . إن مستقبل الثورة إلى خير .. وهذا التأمر الكبير من العالم كله شرقه وغربه ما هو دليل إلا على خيرية هذه الثورة المباركة .. وقد حفظ الله بلاد الشام وتکفل بها .. وهذه الثورة بحاجة إلى : مبشرات وأسس وقواعد تسير عليها في طريقها لتحقيق الأمل المنشود والنصر والتمكين بإذن الله تعالى .

أولاً : المبشرات:

إننا مأمورون من رب العباد ومن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بزراعته الأمل في دروب الألم ، وأن نبشر الناس رغم الجراح .. بشر هذه الأمة بالسناء والتمكين في البلاد والنصر والرفة في الدين ، ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة نصيب " .

وهي وصية رسول الله إلى معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري حينما بعثهما إلى اليمن فقال " يسرا ولا تعسرا ، بسرا ولا تنفسا " .

و جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " عُلِّمُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبِشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا ، وَإِذَا عَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلِيُسْكُنْ " .

إن ربط الثورة السورية بالمبشرات هو أصل البناء لمستقبل سوريا ، فالثوار ينتظرون مشيئة الله بتسليم واطمئنان ، يقول الله تعالى قاصداً قول نبيه موسى عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ (الأعراف: 128) قال سيد قطب "حدثهم بقلب النبي ولغته ، ومعرفته بحقيقة ربه ، وبسننته وقدره ، فيوصيهم باحتمال الفتنة ، والصبر على البلية ، والاستعانة بالله عليها . ويعرفهم بحقيقة الواقع الكوني . فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده . والعاقبة لمن يتقون الله ولا يخشون أحداً سواه .. فإذا شكوا إليه أن هذا العذاب الذي يحل بهم قد حل بهم من قبل أن يأتيهم ، وهو يحل بهم كذلك عندما جاءهم ، حيث لا تبدو له نهاية ، ولا يلوح له آخر ! أعلن لهم رجاءه في ربه أن يهلك عدوهم ، ويستخلفهم في الأرض ليبيطليهم في أمانة الخلافة "

لقد جاء بعض الصحابة يشتكون من أذى قريش ، واضطهادهم ، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن بشرهم بنظرة مستقبلية مشرقة ، جاؤوا إليه يطلبون منه حلاً أو دعاء ولكنه صلى الله عليه وسلم أخذ بأيديهم إلى أفق واسع ، لم يكن يدور في بالهم وتفكيرهم ، جاء من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظَلِّ الْكَعْبَةِ ، فَقُلْنَا : أَلَا تَسْتَتْصِرُ لَنَا ، أَلَا تَدْعُ لَنَا ، فَقَالَ : " قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيْجَاءُ بِالْمِنْشَارِ ، فَيُوْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهُ لَيَتَمَّنَ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالذِّبْ

عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكُنْكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"

وعندما يعيش الإنسان في ظل هذا الأفق الواسع يجعله يتأمل حقيقة نفسه ، فيعيش في واحة الأمل والتفاؤل ، ناظراً لمستقبله برؤيه واقعية ، مستنداً على كتاب الله وسنة رسوله في بناء حياته .. ، وبالتالي يتعامل مع أي مشكلة تواجهه وفق هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

قال صلى الله عليه وسلم " لَيَأْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدِيرٍ وَلَا وَبِرٍ ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ ، عِزًا يُعِزُّ اللَّهُ بِإِسْلَامِ ، وَذُلًا يُذْلِلُ اللَّهُ بِالْكُفْرِ "

والمتأنل في هذه الثورة المباركة يجد مبشرات الثورة كثيرة جداً ومن أهمها:

- عودة الرجال والنساء والشباب والفتيات إلى ربهم ، وهتفهم بالقيادة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم للأبد ..
- ومن المبشرات وضوح حقيقة الصراع الذي يجري على الأرض فهو بين الحق والباطل ، بين الصدق والكذب والتلفيق ، وبين الوضوح والخداع والتلبيس ، وبين العدل والظلم ..
- كسر حاجز الخوف من الفقر .. من الذل .. من الدنيا .. من الجاه .. فحمل الثوار أرواحهم على أكفهم رخيصة في سبيل الله .. يهتفون " هي لله ، هي لله " فتساوت الحياة مع الموت ..
- **ومن المبشرات ذكر ما اختص الله به بلاد الشام من فضائل ومن هذه الفضائل:**

1- ثبتت البركة للشام بخمس آيات في كتاب الله تعالى : قال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَنَا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَضْعِفُونَ مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا ﴾ (الأعراف: 137) ، وقال تعالى ﴿ سَبَّحَنَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدَهُ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ لَنْرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: 1) ، وقال تعالى في قصة إبراهيم : ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلُنَاهُمْ أَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنباء: 70-71) ، وقال تعالى في قصة سبا : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرَى الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا قَرَىً ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيِّرَ سَيِّرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَامًاً آمِنِينَ ﴾ (سبأ: 81)

(18)

2- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم للشام بالبركة : عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِنِنَا ". قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدها ؟ قال : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِنِنَا ". قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدها ؟ فأظنه قال في الثالثة : " هَنَاكَ الْزَلَازُلُ وَالْفَتَنُ ، وَبِهَا يَطْلُمُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ ".

3- بسط الملائكة أجنحتها على الشام : عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " طوبى للشام " فقلنا لأي ذلك يا رسول الله ، قال " لأن ملائكة الرحمن باستطعة أجنحتها عليها "

وفي رواية : عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يا طوبى للشام ، يا طوبى للشام ، يا طوبى للشام ! قالوا: يا رسول الله! وبم ذاك؟ قال: تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتها على الشام "

4- كفالة الله تعالى للشام وأهلها : عن عبد الله بن حواله الأزدي قال : قال صلى الله عليه وسلم : " سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجنة جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق " قال ابن حواله : خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك ، فقال : " عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبى إليها خيرته من عباده فأما إن أبيتم فعلتكم بيمنكم واسقوا من غدركم فإن الله توكل لي بالشام وأهله "

وفي لفظ آخر أن ابن حواله رضي الله عنه قال : يا رسول الله خر لي بلداً أكون فيه فلو أعلم أنك تبقى لم أختر عن قربك

شيئا ، قال : "عليك بالشام" فلما رأى كراهتي للشام ، قال : "أتدري ما يقول الله في الشام إن الله عز وجل يقول يا شام أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي إن الله قد تكفل لي بالشام وأهله"

5- صفة بلاد الله من أرضه يسكنها عز وجل خيرته من خلقه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صفة الله من أرضه الشام ، وفيها صفوته من عباده ، وليدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب

"

6- الأمان عند الفتنة عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بينما أنا قائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي ، فظننت أنه مذهب به ، فأتبعته بصربي ، فعمد به إلى الشام ، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام"

7- أهل الشام ميزان لصلاح الأمة وفسادها عن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة "

8- حرام على منافقين أن يظهروا على مؤمنيهم: عَنْ خُرَيْمَ بْنِ فَاتِكَ الْأَسَدِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "أَهْلُ الشَّامَ سَوْطُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، يَتَنَقَّمُ بِهِمْ مِمَّنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَحَرَامٌ عَلَى مُنَافِقِيهِمْ أَنْ يَظْهِرُوا عَلَى مُؤْمِنِيهِمْ ، وَلَا يَمُوتُوا إِلَّا غَمَّا وَهَمَّا "

9- فسطاط المسلمين دمشق: عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلَحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا دِمْشُقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ .

وفي رواية ثانية : قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " يوم الملحة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام ."

عن أبي هريرة - رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالى، أكرم العرب فرساً، وأجودهم سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين "

ثانيا : قواعد وأسس:

قال تعالى ﴿أَفَعَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانِ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَّا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبه : 109)

إن ما تلقاء الثورة في سوريا وهي جزء من بلاد الشام يعود إلى أهميتها الدينية والجغرافية فهي مهاجر المؤمنين ، وخير بلاد الإسلام، وبها الطائفة المنصورة التي تقوم بأمر الله وتقاتل في سبيله، وهي عقر المؤمنين عند الفتنة ، ولا يبعد عنها إلا خطوات ذلك المسجد الأقصى الحزين.

إن مستقبل الثورة في سوريا مشرق بإذن الله ، فالمستقبل بيد الله، ولكن فقه الواقع يعلمنا أن نجاحها ليس مفروشا بالأزهرار والورد ، بل هو مفروش بالأشواك والآلام والدماء ، مما يتطلب من الثورة، أن تبذل جهدا مضاعفا وصبرا جميلا ، وأن تكون على وعي سياسي فائق ، ووعي فكري متعمق ، متنبهة إلى ما يحاك حولها من مؤامرات ومؤتمرات ليتحكموا بها وفق مصالحهم وسياساتهم في المنطقة ، ولأهمية ومكانة الثورة في العالم فهي بحاجة ماسة إلى قواعد وأسس تسير نحو النصر والتمكين بإذن الله منها:

= لقد أصبح الإسلام تيارا ذاتيا عند الثوار ، فلم يرتبط بنشاط جماعة معينة، أو بوجود جماعة معينة ، وإنما انبعث تلقاءها في نفوسهم .. فقد انتفضت فطرتهم للحق للعدل للحرية - وهذه من بديهييات خصائص الإسلام - بقدر من الله سبحانه وتعالى ، فانطلقت ثورتهم من المساجد ، وإلى المساجد ، ومن التكبير إلى التحميد والتهليل ، وهذا ما أزعج العالم كله غربه وشرقه ،

= وأقض مضاجعهم ، وأرق العلمانيين ، وما رسائلهم العلنية والسرية بأن يخفف الثوار من سقف مطالبهم إلا دليلاً واضحاً على هذا الانزعاج وعلى هذا الفلق من استيقاظ المارد . ولذا على الثوار عدم التنازل لأنهم هم الأعلى سندًا ، فمعهم الحق ، والحرية والعدالة .. ومع النظام الوحشي والعالم المتفرج الباطل والنفس المنتكسة للعبودية.

وهم الأقوى في كافة المواقف والأصعدة على الأرض وفي الجو وفوق البحر ، فيجب عدم إعطاء الفرصة لغيرهم فينتهزها ضدهم . ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران : 139)

= لقد أدرك الشعب السوري بشكل عام والثوار بشكل خاص فشل حزب البعث والنظم الغربية في حل مشاكلهم ، وتبين لهم أن النظم العلمانية فاشلة ، لم ولن تتحقق لهم أي هدف منشود من العدالة والكرامة والحرية .. فعدالة النظم العلمانية وحربيتهم تتوقف وتتجدد عند تقدم الإسلام .. حيث الإيمان وغذاء الروح .. وقد يأس الشعب من الخواء الروحي ومن الضياع النفسي واتجهت صوب الصحوة الإسلامية بفطرتها وصفائها وإرادتها دون ضغط أو إكراه .. إنه توجه لا يمكن وقفه.. حيث تساوى لديهم الموت والحياة.

= إن انتظار حدوث معجزة أو أمر خارق ليوقف هذا التزييف وهذا التدمير وهذا الابتلاء هو انتظار السراب للشرب منه ، بل لابد من الأخذ بالأسباب وال السنن ، قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله : "ولو كانت هذه الفكرة صحيحة سليمة ثابتة لما كان الجهد والجهاد من السلف في دفع كل زيف وانحراف من أي مبطل كان : أجنبياً أو عربياً ، مسلماً في الصورة أو كافراً ، لأننا إذا مشينا في ظل هذا الفكر الزائف لزمنا أن نستسلم لكل ما يواجهنا من صعوبات وتحديات في مختلف الشؤون والمستويات! وهذا أمر لا يقول به عاقل فضلاً عن أن يكون الشرع الإسلامي أراده منا ، وحاشا شرع الله من أن يضاف إليه ذلك .

فلماذا يسعى هؤلاء الجاهلون المصابون بهذه الفكرة المريضة في تنمية أموالهم وأحوالهم وعيشهم ومسكنهم وما إلى ذلك من أمور الدنيا ومرافق الحياة ؟ فإذا جاءوا إلى أمور الدين والجهاد لبستهم هذه الفكرة الشيطانية ، فضلوا ، وتخاذلوا عن نصرة دينهم ، فأين عقلهم وفهمهم من صريح قول النبي صلى الله عليه وسلم "الجهاد ماضٍ إلى يوم القيمة" وأمثاله من الأحاديث الصحيحة الكثيرة ، وقد علم العالمون البصراء أن سنة الله في عباده : الجهاد والجهاد ، والأخذ بالأسباب ، كما هو بيهي عند كل مسلم فاقه لدينه وإسلامه.

فترك الجهاد والعمل في نصرة الدين والإسلام جريمة ، وترك دفع المبطلين والظالمين والصائرين على المسلمين - بسبب هذا الاعتقاد الباطل - جريمة فوق جريمة ، ومحببة عظيمة أصيب بها عقل المرضى بهذا الاعتقاد ، ويجب الإسراع بعلاجهم وإنقاذهم من هذا الداء الوبيـل"

= لقد انطلقت الثورة في كافة المدن والقرى والتواحي السورية يوحدهم الاعتصام بحبل الله ، رافعة شعار "الله ربنا ، محمد نبينا قائدنا إلى الأبد" فكان هناك الأنصار الذين ﴿يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ وهذه من نعم الله.. فالأخوة تجلت في أكبر معانيها ، وفي أسمى آفاقها في هذه الثورة المباركة ، فقد تألف أفقلم يعهدوا بها من قبل ، وتحابوا حباً لم يتمكن من قلوبهم قبل ذلك .. كل هذا بفضل الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال : 62-63)

أي " جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك بعد أن كانت بين الأنصار حروب طاحنة في الجاهلية فقطع الله ذلك بينهم بنور الإيمان "

يقول الأستاذ سيد قطب في معنى الآية : " هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وجعل منهم قوة موحدة بعد أن كانت قلوبهم شتى ، وعداوتهم جاهرة ، وبأسهم بينهم شديداً ، فقد كان بينهم في الجاهلية من الثارات

والدماء والمنازعات ما يستحيل معه الالتفات فضلاً عن هذا الإباء الذي لم تعرف له الأرض نظيراً ولا شبيهاً.

لقد وقعت المعجزة التي لا يقدر عليها إلا الله، والتي لا تصنعها إلا هذه العقيدة ، فاستحال هذه القلوب النافرة ، وهذه الطباع الشموس، إلى هذه الكتلة المتراسدة المتاخية الذلول بعضها لبعض ، المحب بعضها لبعض ، المتألف بعضها مع بعض بهذا المستوى الذي لم يعرفه التاريخ والذي تمثل فيه حياة الجنة وسمتها البارزة أو يمهد لحياة الجنة وسمتها البارزة والتي من صورها قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُورٍ مُتَّقَابِلِينَ﴾ (الحجر:47) ، إن هذه العقيدة عجيبة فعلاً ، إنها حين تختلط القلوب تستحيل إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب فإذا نظرة العين ، ولمسة اليد ، وخفقة القلب تراني من التعارف والتعاطف والولاء والتناصر، والسماحة والهواة، لا يعرف سرها إلا من ألف بين هذه القلوب ولا تعرف مذاقها إلا هذه القلوب.

= إن الواقع السياسي لا يجب فصله عن ديننا ، فما السياسة الشرعية إلا جزء من تعاليم ومبادئ إسلامنا الحنيف ، لا يمكن أن تنفصل عنه ، ولذا يجب أن تكون مواقفنا السياسية في التعامل مع المجتمع الدولي منبنقة من الإسلام ، رضي من رضي وغضب من غضب .. فلا وصاية لأي دولة غربية على الثورة ، ولا مجال للسماح لأي دولة في العالم التدخل في كيفية مسار الثورة بعد الوحش !! فالثورة انطلقت سلمية فطرية ، وحولها النظام بحماقته ومن حوله العالم الغربي الداعم له والصامت عنه إلى جهادية فطرية .. فلا مجال للعبث بفطرة الشعب الصافية النقية.. السلمية والجهادية!!!

إننا لا نعجب أن ينصب عليها هذا البلاء ، وهذه المحنـة القاسـية من عـدة جـهـات:

❖ من النظام الطاغي الذي يرمي الثورة عن قوس واحدة .

❖ ومن الغرب (أمريكا وأوروبا) : فأمريكا وأوروبا مع النظام إلى أن تجد البديل الذي يتوافق مع مصالحها ، وإن كانت طالبـة مراوغـة بـتنحـية النـظام وأنـه فقد شـرعـيـته ، فـكـلامـها هـذـا جـاءـ عـلـى أـسـاسـ ثـقـتهـ منـ أـنـ هـذـهـ الثـورـةـ السـلـمـيـةـ لـنـ تـسـتـطـعـ إـسـقـاطـ النـظـامـ ، وـلـهـذـا اـكتـفـواـ بـالـشـجـبـ وـالـتـنـديـدـ وـالـعـقـوبـاتـ الـعـقـيمـةـ ، فـالـثـورـةـ السـوـرـيـةـ لـيـسـ مـنـ وـرـائـهـ مـصـالـحـ نـفـطـيـةـ أـوـ صـنـمـاـ يـمـجـدـهـ بـدـيـلاـ عـنـ النـظـامـ ، أـوـ حـارـسـاـ يـحـفـظـ لـهـ أـمـنـ وـحـيـاةـ السـرـطـانـ إـسـرـائـيـلـيـ كـمـاـ حـافـظـ عـلـىـ النـظـامـ الفـاشـيـ ، وـلـقـدـ كـتـبـتـ الصـحـفـ الصـهـيـونـيـةـ بـالـخـطـ العـرـيـضـ : إـنـ تـلـ أـبـيبـ تـصـلـيـ لـلـرـبـ فـيـ أـنـ يـحـفـظـ بـشـارـ الأـسـدـ !!!

❖ ومن الشرق (إيران وروسيا والصين) مكراً وكيداً ودعماً بكلفة أشكال الدعم اللوجستي والأمني .

❖ ومن بعض إخوان الثوار وجيرانهم الذين يعيشون معهم تحت سقف الوطن ، والدول العربية (الجامعة العربية) يخذلونهم وينبطونهم ، ويرجفون في الإعلام والفضائيات ويعوقونهم عن السير ، ويمهلون النظام .

إن العالم ينظر إلى الثورة السورية على أنها تهدى لاستقرار المنطقة التي يحكمها أناس من جلدتنا ويتكلمون بلساننا نيابة عنهم ، فتبعتها حذو القذة حتى إذا دخلوا حجر ضب دخلوه ، فتعيش المنطقة في التخلف والفقر والبطالة ويجبي إليها ثرواتها ، وتستقطب إليها علماؤها ومبدعيها .

يقول "نيكسون" في كتابه "نصر بلا حرب" : ليس السلم الحقيقي إنهاء المنازعات بل هو وسيلة للعيش معها فالسياسة الغربية والروسية والصين لهم نمط واحد من التفكير لا يختلف عليه أحد : مصلحتهم الدينوية أولاً وأخيراً وبعد ذلك طمس هوية الشعوب ، والاتفاق على تقسيم الغنائم أو الاختلاف .

إن نجاح الثورة السورية هو الخوف وهو البعير والهلع للغرب وأذيهـلـهـ فـيـ الشـرـقـ، وـذـلـكـ مـنـ جـهـاتـ عـدـةـ:

1- إن نجاح الثورة السورية هو نجاح للعدالة والحرية وهذا ما لا يريده الغرب وإن كانت تتبرج بشعارات الحرية والعدالة والمساواة ، فشعاراتها خاوية ، مفرغة من داخلها ، ليس لها رصيد فطري أو روحي أو إيماني وإنما رصيد مادي لا يسمن ولا يغنى من جوع .

إن نيل الإنسان للحرية والعدالة والكرامة وفق منهج الفطرة يعني التمرد على كل أنواع العبودية والتبعية للغرب ، والذل والهوان ، فالفطرة هي التي انتفضت في الثورة السورية ، ونفضت عنها الغبار الذي تراكم طوال السنين ، نفضته وهي ترفع إصبع الشهادة مكبرة الله أكبر ، ولم تنفسه وهي تمد يدها للغرب أو للشرق . بل لله ، "هي لله ، هي لله" . وهذا ما يزعج الغرب الذي تعود أن يتوجه العالم إليه، ويتدلل إليه.

2- إن نجاح الثورة السورية وجود دولة عادلة ذات سيادة حقيقة هي تغيير في قوانين اللعبة الدولية ، بل لن تكون هناك لعبة من الأصل ، فالثورة لا تلعب ، بل تبني الإنسان روحًا وجسدا ، وتصلح وتنير عقله ودربه ، وتعيد للبلاد حضارتها ، فكل شبر في بلاد الشام كان منارة للعالم يستنير به ، وشعاعاً للعلم يهتدى به ، وكل موضع قدم شاهد على العزة والكرامة التي نالها الإنسان مهما كانت طائفته وملته في بلاد الشام .

وبالتالي سوف تكون هناك تداعيات إقليمية جديدة على الساحة العربية تضعف من السياسة الغربية ، وهذا ما لا يريد الغرب أيضا .

لذا يجب على الثوار أن يعوا تماماً معنى ثورتهم وأهميتها بالنسبة إلى سوريا وإلى العالم ، فالعالم لن يدعهم ينجحوا في ثورتهم بكل سهولة ، فسوريا تختلف عن تونس وعن ليبيا وأيضاً عن مصر لما لها من امتدادات في العراق ولبنان وفلسطين والأردن وتركيا ، وخاصة أن الأمر خرج عن سيطرتهم ولله الحمد ، وأيقن العالم أجمع أن الثورة بلغت نقطة اللاعودة، وعدم الرجوع إلى الخلف .

مما يتطلب من الثورة جهداً مضاعفاً وصبراً جميلاً أن تنتبه إلى ما يحاك حولها من مؤامرات ومؤتمرات ليتحكموا بها وفق مصالحهم وسياساتهم في المنطقة ، فهي قادرة بإذن الله على تغيير قوانين اللعبة ، فلعبة الأمم التي تحدث عنها مايلز كوبلاند قد تحطمت أحجارها بأيدي أطفال الثورة ، وهي قادرة بإذن الله أن تضع العالم أمامها كلاعب إقليمي جديد .

= إن ما يجري في سوريا الحبيبة ليس مجرد القضاء على حاكم فاسد طاغية ، أو مجرد إصلاح جوانب معينة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. وإنما إعادة بناء الإنسان الصالح ، وليس المواطن الصالح .. ليولد الإنسان الصالح الذي يدافع عن الإنسان أياً كان مكانه سواء في سوريا أو في الغرب أو في الشرق ، يدافع عنه ليصل إليه حقه ، وحريته وكرامته مهما كان دينه . وليس ليولد المواطن الذي يبعد طاغيته وأمواله ، فيرى ويسمع المذايブ تلو المذايブ ، والتدمير تلو التدمير ، ولا يحرك ساكناً سوى متابعة المشاهدة إلى أين ستنتهي الحرب؟

وهذا الأمر من إعادة بناء الإنسان الصالح يحتاج إلى جهد ، ويحتاج إلى صبر ، ويحتاج إلى نفس طويل ، رغم وجود المعوقين والمثبتين والمتآمرين والمنافقين .

ويحتاج إلى وقفة صارمة ضد كل ما يحاك ضد الثورة .. لأن الثورة ليست ثورة السوريين فقط بل ثورة الأمة بأكملها .. ثورة الوجود والبناء والحضارة .. ثورة الحرية والكرامة والشهادة .

لقد انتفضت فطرة الشعب السوري بعد طمس الأربعين سنة أو أكثر ، انتفضت ولذا فهي بحاجة إلى تربية من جديد ، تربية تتكافأ مع مهمة الثورة ، تربية إيمانية صحيحة ، فليس كل من ثار صار صالحا ، ولكن أصبح لديه القابلية للصلاح ، والقابلية لتناول الغذاء الروحي والجسدي، فيربى نفسه وروحه وجسده ، فيعمل على تقوية عقيدته الصحيحة الواضحة ، التي يتعامل من خلالها مع الكون والبشرية، والكائنات الحية ، حتى الجمادات .. ويذهب نفسه وإرادته حتى يرتقي ويترفع عن الخضوع للشهوات والأهواء ، والطغيان ، فالابتلاء ليس في الضراء فقط ، وفي هذا الموت الذي يجده التأثر كل لحظة ، بل الابتلاء أيضاً في السراء ، فيهذب نفسه لتثبت في السراء والرخاء وبعيش وفق ما يريد الله سبحانه وتعالى .. فيعالج قلبه من كافة الأمراض والعلل الضارة به ، فمرض القلوب أشد خطراً على الإنسان من مرض الأبدان .. ومرض العقول أشد خطراً

على الإنسان من مرض الأبدان !!

لقد انتفضت سوريا وهي تريد الخلاص من جحيم البعث والاستبداد والظلم والطغيان ..

انتفضت هاربة من جحيم الخواء الروحي ، باحثة عن التوازن بين الروح والجسد ...

انتفضت فطرتها ، فخرج الناس جميعا المسلم الصالح والمسلم الطالع ، والإنسان التقى والإنسان الفاسد ، والفرد المتدين

(مهما كان لون دينه) وغير المتدين ، ...خرجوا جميعا فقد انتفضت فطرتهم .. باحثة عن النجا ، عن الإحساس بوجودها ،

عن كرامتها التي أعطاها الله إياها ..

انتفضت واصطدمت بعدو من الداخل يذبح ويقتل ويفتك ، وعدو خارجي يصمت ويشجب ويتفرج .. فماذا تفعل الفطرة

المنتفضة سوى اللجوء إلى خالقها العلي الكبير ، والأخذ بالأسباب مع الجيش الحر ..

إن الثورة السورية لأهميتها ، وما تلعبه من دور بالنسبة إلى العالم أجمع ، وتميزها في شخصيتها وأهدافها ، واهتماماتها

المبنية من عقيدتها ، في حاجة إلى أن تتميز بتراثيتها المبنية من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة التي تقود العالم

، وبثارها الذين يحملون برنامج حياة يرقى بالإنسانية ، وينمي الحياة ، ويصنع الحضارة لكل البشرية .. قال تعالى : ﴿

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾..(آل عمران : 110) ..

= لقد دمر النظام الوحشي مقومات الدولة السورية الأمنية والاقتصادية وهذا يجعل الأمانة الملقاة على عاتق الثوار كبيرة جدا ، وعلى المعارضة في الخارج الدور الأكبر في رسم سياسة بناء الدولة الأمنية والاقتصادية ، وهذا يعني أن ما تم خرابه وتدميره لا يمكن إصلاحه في يوم وليلة بل لا بد من صبر وطول نفس ، وتحطيم ورسم ، وترتيب لبناء الدولة من جديد بناء قويا شامخا ، لا تذل نفسها لأحد ، فلا تنازل عن مقومات السيادة الوطنية ، ولا تهان في إدارة الاقتصاد ، فالشعب الذي صبر على الألم والجوع والتشريد والقتل والهدم والتدمير ، والذي تحمل ضربات الصواريخ ، وقنابل الطائرات لقرابة السنين، قادر بإذن الله تعالى على الصبر لخمس سنوات على الألم وشظف العيش لبناء دولته دون أن يفرط في شبر من سيادة أرضه، واقتصاد بلده.

إن موضوع الأمن والاقتصاد موضوع مهم جدا ، والكافأة المسلمة والأيدي الأمينة والعقول المخططة لا تخلوا منها بلدنا الحبيب ، والعقول المهاجرة والأيدي المهاجرة قادرة بإذن الله على بناء سوريا من جديد ولا تركع إلا لله ، ولا تطلب ذل السؤال من هنا أو هناك.. فالذي ساند ودعم النظام الوحشي ، والذي وقف يتفرج ويعطي المهل تلو المهل لن تكون له موضع قدم في سوريا الحبيبة.. فالثورة هي الأعلى سبدا وقيمة وهي الأعلى خلقا ورأيا وواقعا .. والشعب السوري لديه الإمكانيات المحلية على صياغة رؤية مشرقة لمستقبل البلاد الأمني والاقتصادي ، ولا يسمح بتسلیم أو التنازل عن الناحية الأمنية أو الاقتصادية إلى ما يسمى زورا وبهتانا "أصدقاء سوريا" .

= إن المتأمل في حقيقة ما يجري في سوريا من صراع بين الشعب المؤمن من جهة وبين النظام الوحشي والعالم الغربي والغربي من جهة أخرى، هو صراع حضاري في حقيقة الأمر، وإن كان الصراع العربي هو الظاهر ... فالشعب ليس هو الذي بدأ الحرب، بل يدافع عن دينه وعن نفسه وعن عرضه...

إنه صراع بين القيم، بين القيم الصالحة وبين القيم الفاسدة ، بين قيم العدالة والحرية والكرامة والإنسانية، وبين العبودية والمذلة والظلم والطغيان ..

إنه صراع القيم ، فأي قيم سينشرون إذا تغلبوا على الثورة لا سمح الله ؟؟

انظر إلى النظام الوحشي .. وإلى الغرب .. وإلى الولايات المتحدة .. وإلى روسيا .. وإلى إيران .. ستجد الجواب ، إذ لن

تجد لديهم إلا قيم الطغيان والفساد والدمار والاحتياط .. ولن تجد رغم التقدم العلمي إلا قانون الغاب وشهوة القدرة والإذلال

لآخرين .

وتأمل في قيم الثوار المقتدين بالصحابة الكرام ، أي قيم ينشرون في ثورتهم ؟

إنهم ينشرون القيم الفطرية العادلة لكل إنسان ، والحرية الحقيقية لتحرير الإنسان من عبادة الطغاة إلى عبادة رب العباد ..
ليس هدف الجيش الحر - والثوار كلهم جيش حر- من القتال هو الثأر أو التشفى أو شهوة السلطة ، وإنما إزالة هذا الطاغوت بنظامه العلماني الجاهلي ليكون الناس أحراراً يختارون لأنفسهم ما يشاءون .

وليس هدف الساسة في المعارضة في الخارج - وهذا أمل الثوار والثورة فيه - هو الزعامة بل السير مع حركة الثورة لتصحح المفاهيم لدى العالم ، وتحرير الإنسان من الذل والهوان والظلم والجهل والظلم إلى الكرامة والعدل والعلم والنور .
ولهذا فالثورة السورية ثورة حضارية بشقيها الجهادي والسياسي .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الدِّينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(النور: 55)

هذا والله أعلم بما كان من صواب فمن الله سبحانه وتعالى وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان واستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

المصادر: